وهو آخذ في الذوبان ورأينا واحدة دارت ثماني دورات كاملة

وفيما نحن نكتب هذه الاسطر وردت علينا الجرائد الانكليزية وفيها انه عصفت في هذه الاثناء زوبعة كهربائية في بلاد الهند خرّبت الوفًا من البيوت وكسرت كثيرًا من المدن وصحبها برد كبير المجم جدًا بلغ وزن حبة منه رطلاً وربعًا ووزن حبة اخرى اكثر من رطلين (ليبرتين) فقتل في مراداباد نحو ستة وخمسين شخصًا وفي بنغالا السفلى عشرين شخصًا وجرّح مئتين جراحًا بليغة وأكسر بيو في احد بيوت الحكومة مئتا لوح من الزجاج

هياكل ثيبة ومدافنها[1]

لجناب الدكتور يوحنا ورتبات

عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج وجمع الامراض الوافدة في لندن الخ

قطعنا اربعماية وخمسين ميلاً من القاهرة حتى رست بنا السفينة تحت هيكل الاقصر الشهير في ظهيرة يوم الجمعة الواقع في ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨ فخرجنا نجول بين اطلال ثيبة التي طار ذكرها في الآفاق وكانت عاصمة مملكة مصر العليا كما كانت مدينة منف عاصمة مصر السفلى. وقد بقي من آثار ثيبة الى يومنا هذا ما لم يبقَ له مثيل في بلاد مصر او غيرها من البلدان فلعظم ما فيها من الهياكل الباذخة والمدائن الواسعة والتماثيل والمسلات والاعمدة والكتابات والنقوش الباهرة يخال للناظر اليها انه فارق عالم الحقيقة ودخل عالم الخيال وينسى المكان الذي جاء منه والزمان الذي هو فيه ويتوهم انه معاصر لقوم كانوا في زمان مطابق لزمان بدء الخليقة في حساب البعض وانه مخالط لاولئك الذين لم تزل معرفتهم ومهارتهم سرًا غامضًا عند اهل زماننا والذين سرى تمدنهم ودينهم وعلمهم الى كثيرين من اشهر امم الارض معرفة وتمدنًا. ومهما طالع الانسان عن هذه الآثار واستجلى امورًا كثيرة تخفى عليه اذا لم يسترشد بكتب الباحثين فانه متى وطئ خرائب ثيبة لا يتمالك عن ان يدهش ويحير كمن اصابه سحر او أُخذ برقية لما يرى حوله من الآثار والخرائب

وثيبة احدث من منف عهدًا ولكنها كانت مدينة عامرة كبيرة قبلما نزل ابرهيم الخليل الى مصر وقد وصفها اوميرس الشاعر اليوناني في ديوانه بالغنى الواسع والثروة الوافرة وقال ان لها مئة باب يخرج من كل باب منها مئتا مقاتل بعددهم وخيولهم ومركباتهم . وهي واقعة بهياكلها

(١) اقتطفت من خطبة له خطبها على الجمعية الانكليزية في بيروت

ومدافنها في سهل فسيح بين سلسلتي الجبال اللتين تحتضان بوادي النيل شرقًا وغربًا ويخترقها نهر النيل فيشطرها شطرين ولكون الجانب الغربي منها فيه المدافن التي لا مثيل لها بين مدافن مصر القديمة وفيه هياكل اكثر جدًّا من هياكل الجانب الشرقي فالارجح ان الشطر الغربي كان مدينة الموتى والشطر الشرقي كان مدينة الاحياء فيعبر موتاهم نهر النيل من الشرق ويدفنون في الغرب حيث يجتمع عالم الارواح في ما كان يسمى عندهم أمنتي

ويوجد الآن في مكان ثيبة اربع قرًى وهي الاقصر والكرنك على الجانب الشرقي ومدينة ابو وبجرنه على الجانب الغربي والسيَّاح يتفاطرون اليها لمشاهدة هياكلها . اما الهياكل المصرية فمبنية كلها من كبيرة وصغيرة وقديمة وحديثة على مثال واحد بسيط . ويظهر هذا المثال واضحًا اتمّ الوضوح في الهياكل البسيطة حيث يكون الهيكل مؤلفًا من اربعة اجزاء وهي الباب والممرّ والهيكل الخاص والقدس او المحراب . ويحدق به وبما حوله من الارض سورٌ عالٍ وتزرع الارض اشجارًا ويجعل فيها بركة او بحيرة تجتمع اليها مياه النيل للتطهير والاغتسال . والباب يكون له ركن من هنا وركن من هناك على شكل مخروط مقطوع من اعلاه ويتصلان من اعلاهما بعتبة من حجر واحد ينقش عليه صورة قرص رمزًا الى الشمس وصورة جناح منشور عن جانبه الواحد وجناح آخر منشور عن جانبه الآخر . وفي الهياكل القديمة يختفض هذان الجناحان على صورة الفلك المقدَّس رمزًا الى القوة الالهية الواقية فيما يظن . والباب يؤدي الى الممرّ وهو زقاق مفروش بالبلاط يكون على كل جانب من جانبيه رواق من الاعمدة او التماثيل المنحوتة على شبه ابي الهول وهو يؤدي الى الهيكل الخاص . وهذا الهيكل عبارة عن قاعة واسعة يستتر بها المذبح هي ومدعمة باعمدة شبه سوق البرديّ ورؤوسها تشبه البلوفر ازرارًا او ازهارًا . وفي الهيكل بابٌ يفتح عليه مجفٌ ثمين ويؤدي الى القدس او المحراب وهو غرفة مظلمة يغلب ان تكون من الحجر المخبب المعروف بالكرانيت يوضع فيها الفلك المقدَّس ولا يدخل اليها الا رؤساء الكهنة . واتجاه الهياكل عادة شرقًا وغربًا

هذا هو المثال البسيط الذي بنيت عليه كل الهياكل المصرية ولكنهم كانوا يزيدون عليه كثيرًا متى شاؤوا فيعدّدون الابواب والممرّات مثلاً عوضًا عن ان يقتصروا على باب واحد وممرّ واحد ويبنون برجين مكان ركني الباب . وينصبون التماثيل والمسلاّت والاعمدة الكثيرة ويبنون حول المحراب غُرَفًا عديدة لاخفائه عن عيون الناظرين من العامّة ولوضع ما يختص بالهيكل من الكتب والكنوز والتحف والبخور والملابس . ويقيمون في اراضي الهياكل هياكل أُخرى اصغر منها . فهياكل كثيرة بناها الملوك وزادوا فيها وكبَّروها خلفًا عن سلَف قيامًا بفروض التقوى او شكرًا لآلهتهم

حتى صار يتعذر على الناظر ان يستقصي المثال الاصلي فيها لكثرة ما زيد اليها . ومن ذلك الهيكلان الشهيران المعروفان بهيكل الاقصر وهيكل الكرنك الكبير وهما اجل ما شادهُ المصريون القدماء من الهياكل واعظمها وكلاهما في الشطر الشرقي من ثيبة . ولما كان المقام ضيقًا لا يحتمل التطويل اقتصر على وصفهما بوجه الاجمال لتحصل لنا صورة عامة في ذهن القارىء فاقول

ان هيكل الاقصر مبنيٌّ على ربوة بجانب النيل تطلُّ على التل والسهل الواقع غربية بما فيهِ من الآثار والهياكل حتى تصل الى صحراء ليبية واوّل مَن بناهُ الملك امونوف الثالث من ملوك الدولة الثامنة عشرة وزاد عليهِ رعمسيس الثاني زيادات كثيرة بعدهُ . يُقبل عليهِ الداخل اليهِ من الشمال فيرى امامهُ مسلة من حجر الگرانيت الاحمر علوها بنيف على ثمانين قدمًا وهي مغطّاة بالنقوش العميقة الغائرة فيها قيراطين بالقلم القديم المعروف بالهيروغليف ولم تزل هي ونقوشها برونقها القديم كأنها قد نحتت امس وقد مرَّ عليها نحو ثلاثة آلاف وخمسماية سنة . وكان لها أخت مثلها فنُقلت الى باريس ونُصبت هناك

وهاتان المسلتان كانتا منصوبتين امام باب الهيكل ثم يليهما تمثالان عظيمان قاعدان بينهما وبين الباب وقد شوهتهما صروف الزمان ونوائب الحدثان . ثم الباب وله برج عن كل جانب وعرضهُ ببرجيهِ مئتا قدم وارتفاعهُ خمس وسبعون قدمًا . ويُدخل منهُ الى ممرّ جميل حولهُ من هنا ورواق من صفين من الاعمدة ومن هنالك رواق آخر مثلهُ وطولهُ مئة وسبعون قدمًا وهو يؤدي الى قاعة عظيمة طولها ١٦٠ قدمًا وعرضها ١٤٠ ويحف بها ثمانية وار بعون عمودًا عن كل جانب اثنا عشر . وفي هذه القاعة كان العامة يجتمعون للعبادة ولم يكن يسمح لهم ان يتعدّوها . ثم يتلوها رواق على اربعة اعمدة يؤدي الى الهيكل الخاص وهو قاعة مستوفة ذات اثنين وثلثين عمودًا . ووراء هذا الهيكل القدس او المحراب وهو اليوم مكشوف وقد جُعل كنيسة للقبط في سالف الزمان

والذي يتأمل خرائب هذا الهيكل لا يكاد يضبط نفسهُ من الدهشة والعجب فسواءٌ نظر الى ضخامة بنيانهِ او تناهي جمالهِ واحكام اتقانهِ او كثرة اعمدتهِ وعظمتها وهيبة هيئتهِ او نقوشهِ وكتاباتهِ التي لم يخلُ حجر واحد منها مع تناهيهِ في الضخامة يجد ما يقضي بالعجب ويثير عواطف النفس الى اعمق اعماقها . وكثرة النقوش والكتابات لا تنحصر على هيكل الاقصر بل هي عامة لكل هيكل وقبر في ديار مصر . ولو نقلت كتابات ثيبة وحدها الى الكتب لملأت وسعتها الاّ مكتبة عظيمة . والتماثيل المنحوتة هنالك بديعة الصنع تكاد لبراعة صناعها تحكي الكائنات الطبيعية في كل اوضاعها وبعضها يفد الكائنات الطبيعية وبعضها اضخم جثة وكانت مدهونة بالالوان . واكثرها تماثيل ملوك وجنود يتقاتلون وصور معارك وحروب فترى فيها صور الذراعة والجنود تارة مصطفين

لمقابلة الاعداء وتارة متلاحمين معهم وتارة منصورين عليهم وقد استباحوهم قتلاً واسرًا . وتارة مهاجمين المدن المحاصرة وقد نصب الجنود السلالم وارتقوا على الاسوار ثم دفع العدو بعضهم عن شرفات الاسوار والبعض الآخر تمكنوا من الصعود عليها . ثم ترى صور الايدي والاسنة متراكبة بعضها فوق بعض مقطوعة من الاعداء موتى او احياء وكاتب يكتب عددها . ثم صورة الملك راجعًا في مركبته امام جيشه والاسرى وراءهُ مربوطين بالاسراس . ثم صورة موكب عظيم آتٍ لزيارة الهياكل والمعابد وقد وقف فيه الملك او سجد امام الهامون ومدَّ يسراهُ ملأى بالتقادم وبسط كف يمناهُ نحو الاله ضارعًا لقبول نذوراته . وامون ينظر اليه بوجهٍ يفيض رحمةً وحبًّا ماسكًا رمز الحياة في يدٍ وهو صليب ذو مسكة ليباركهُ ويتوجهُ بتاج مصر العليا والسفلى . وهناك رأيت اقدم قصيدة من نظم البشر نظمها بنتاور شاعر الملك رعمسيس الثاني وهو فرعون الطاغية الذي ظلم بني اسرائيل فيما يظن ويقال انها نظمت سنة ١٢٥٠ قبل المسيح وقد ترجمت الى لغات شتى من اللغات الاوربية . ويطول بي الكلام ويعجز القلم عن وصف ما شاهدت في هذا الهيكل من الفخامة والنقش ودقة الصناعة واحكام الهندسة واتقان البناء وصور الحوادث والمواقع فاكتفي بما ذكرت

واما هيكل الكرنك فهو اضخم هياكل مصر واجلها ولعلَّ ذلك هو ما حمل المصريين على تسميته بمحراب المملكة . واقدم اسم منقوش على حجارته اسم اوسرتاسن الاول اوَّل فراعنة الدولة الثانية عشرة وذلك قبل المسيح بالفي سنة واحدث اسم منقوش عليه اسم الاسكندر المكدوني من ملوك الدولة الثانية والثلاثين . وهناك اسماء كثيرين من ملك في غضون ملك هذين الملكين وزاد على بناء الهيكل بعض المباني مثل اسم امونوف وثتمس والملكة طحاسو والملك سيتي الاول ورعمسيس الثاني والثالث . فلم يتكامل بناؤهُ اذًا الَّا بعد مضيّ اثني عشر سنة من اول الشروع فيه . وهو يبلغ ١١٨٠ قدمًا في الطول وكان يحدق به سورٌ من الحجر دورهُ ميل ونصف وهو والسور مغطيان بكتابات بالقلم القديم . وكان له باب عظيم على كل جهةٍ من الجهات الاربع ويُدخَل اليه اليوم من ممرٍّ محفوف عن الجانبين بتماثيل ابدانها كابدان الاسود ورؤوسها كرؤوس الكباش ويقال ان هذا الممرّ كان يمتد بين هذا الهيكل وهيكل الاقصر فيصل بينهما . واما مدخله الاصلي فمن جهة الغرب حيث يُطَل على النيل . فاذا اقبل عليه الانسان من هذا المدخل فاوَّل ما يرى منه باب شاهق ركناهُ برجان فخيمان وعرضه من طرف البرج الواحد الى طرف الآخر ٣٧٠ قدمًا وعلوهُ ١٥٠ قدمًا وسمكهُ ٥٠ وهو يؤدي الى قاعة مكشوفة فسيحة لها رواق مسقوف على اعمدة من الشمال وآخر مثله من الجنوب وقد بنى رعمسيس الثالث هيكلًا صغيرًا داخلًا في الرواق الجنوبي المذكور

وفي الشرق من هذه القاعة باب عظيم ذو برجين ايضاً يؤدي الى القاعة الكبرى وهي الهيكل الخاص واقيم بناء بناهُ البشر وسنعود الى وصفهِ عن قريب . وفي الشرق منهُ ايضاً باب آخر ذو برجين في ضخامة الباب الذي في الغرب وضخامتهِ يؤدي الى قاعة فيها مسلتان من الگرانيت الاحمر احداها قائمة والأخرى واقعة وطول كلٍّ منهما ٧٥ قدماً . وفي الشرق من هذه القاعة ايضاً بابٌ رابع ذو برجين يؤدي الى قاعة أُخرى تحيط بها اعمدة من كل جهاتها وداخلها مسلتان احداهما قائمة لهذا العهد . وهما اطول مسلاَّت الدنيا علو كلٍّ منهما ٩٣ قدماً وعرضها ثماني اقدام . وفي الشرق من هذه القاعة باب خامس ذو برجين اصغر من الذي قبلهُ ويؤدي الى قاعة أُخرى والقاعة الى دهليز والدهليز الى باب من الگرانيت وهذا الى قاعة اخرى والقاعة الى القدس او المحراب وهو من الگرانيت الاحمر محاط بعدد عظيم من الغُرَف والمخادع . ووراءهُ هيكل آخر قائم على اعمدة بناهُ الملك ثتمس الثالث

هذا ولنعد الى وصف القاعة او الهيكل الخاص الذي وعدنا باشباع الكلام عليهِ . فهذا الهيكل متناهٍ في الجلالة والفخامة طولهُ ٣٢٩ قدماً وعرضهُ ١٧٠ وسقفهُ قائم على ١٣٤ عموداً منها اثنا عشر عموداً في وسطهِ يبلغ علوُّ كلٍّ منها ٦٢ قدماً خلا تاجهِ وقاعدتهِ وعلوُّ كلِّ ما بقي نحو اثنتين واربعين قدماً ونصف ودورهُ ٢٨ قدماً . وكلها قائمة الاَّ واحداً منها سقط فارتكز على رفيقهِ وهو ساقط ولم يزل كذلك الى اليوم . على ان ما ذكرتهُ من الانيسة والاعداد لا يؤدي شيئاً الى ذهن القارىء مما يخالج ضميرهُ عند ما يقف بين تلك الاعمدة ويراها ناطحة رؤوس السحاب كانها شجر في غاب . . فينتابهُ بشعور يتأثير العجب والاستعظام في نفسهِ اعظم تأثير ويعترف بسموّ العقول التي استنبطت مثالها واحكمت هندستها وبناءها ونحتها . وقد زرت هذا الهيكل ثلاث مرّات وآخر مرة كان القمر بدراً والجوُّ صحواً فمشيت بين تلك الاعمدة مع رفاقي وتفرّقنا في جوانب الهيكل كالاخيلة التي تلوح في جوانب الخاطر بتأمل كلٌّ منا عظمة ما حولهُ متخيلاً انهُ انتقل من ديار الانس وعالم الحقيقة الى ديار الجن وعالم الخيال . ورجعت بي الافكار الى ذلك الزمان الذي كان فيهِ هذا الهيكل معبداً للجماهير منذ . . ٣٥ سنة فقلت في نفسي ترى كيف كان منظر هذا الهيكل ودخان البخور منعقد في جوانبهِ انعقاد الغمام في جوانب السماء واصوات المنشدين والمرنمين تصدح في قاعاتهِ والقاعات الخارجية غاصّة بجماهير المصلين من عامة الناس ورئيس الكهنة في القدس يصلي ويمارس اسرارهُ التي لا يعلمها غير الكهنة المرسومين والملك محمولٌ من القدس على اكتاف الكهنة اللابسين ملابسهم البيضاء والملك نفسهُ خارج في صدر موكبهم بالجلال والفخار . هذه الصور كلها مرّت امام عيناي وانا امشي بين الاعمدة في جوانب ذلك الهيكل القديم

وهي كلها صور منقولة عن حقائق قد اقتبسها منهم غيرهم من اليهود والنصارى

هذا في الشطر الشرقي من مدينة ثيبة فلنعبر نهر النيل ونتظر ما في الشطر الغربي من الهياكل والمدافن . اما الهياكل فستة وقد تخرّب بعض جوانبها ولا يزال البعض الآخر قائمًا . وقد بُنيت كلها تباعًا بتوالي الملوك على تخت مصر . فمنها هيكل بنتهُ الملكة حطاسو من الدولة الثامنة عشرة وزاد عليهِ مَن تلاها من الملوك حتى اتمّهُ حكورس احد ملوك الدولة التاسعة والعشرين فاستغرق بناؤهُ الفًا وثلثمئة سنة من الزمان . ومنها هيكل بناهُ رعمسيس الثاني وهو من اجمل هياكل مصر ونصب بجانبهِ تمثالاً هائلاً ثقلهُ ٩٠٠ طن وهو منحوت من قطعة واحدة من الحجر الاصواني وقد تحطّم الآن وتساقط متكسّرًا حول القمة التي نُصب فيها . وقد قُطع هذا الحجر من مقالع اصوان على بعد مئة وثلثة وثلاثين ميلاً ونُقل على ظهورهِ من هناك الى هنا بوسائط يجهلها المهندسون في هذه الايام

ومنها هيكل بناهُ رعمسيس الثالث وهو ايضًا من الهياكل الجميلة وفيهِ من الصور المنحوتة شيء كثير كصور المعارك والحروب وصورة تتويج هذا الملك وصورتهُ جالسًا على كرسي يلعب لعبة الداما مع نساء من بلاطهِ . ومنها هيكل يسمّى اليوم هيكل جرنه بناهُ الملك سبتي الاوّل وانشأ بجانبهِ مدرسة جامعة تضاهي المدرسة التي كانت منشأة في هليوبوليس (المطرية) والتي قيل ان موسى الكليم تعلم فيها وتفقه بحكمة المصريين . وكان يدرس في تلك المدرسة الجامعة ثمانماية كاهن ونيف ويديرها ثلاثة من انبيائهم ومن هؤلاء الثلثة رئيس كهنة الهيكل وهو حبرهم الاعظم وكان رئيس المدرسة ايضاً . وكان يعلّم فيها من العلوم النحو والبيان والفلسفة والفلك والهندسة العلية وفن البناء وعلم الشريعة والطب واللاهوت . وكان الذين يتعلمون فيها يلقبون "الكتبة" كما ان من يتعلم في المدارس الكلية في هذه الايام يلقب "بكلوريوس علوم" مثلاً . وكانوا كلهم يختصون برتبة من رتب الكهنوت . واما الطلبة فكانوا يلبسون ثوبًا من الكتان الابيض وهو شعارهم الذي يمتازون بهِ ويقرب من ثوب الكهنوت

وكان الكهنة في تلك الايام اصحاب السلطة والقدرة كما كانوا في كل زمانٍ ومكانٍ وكان لهم مراتب شتّى مثل الاحبار العظام او رؤساء الكهنة والانبياء ورتبهم والكهنة ويلقبون "بقدس الاب" والكتبة والاطباء . ولما كانوا مستودع اسرار العلم والحكمة في زمانهم كانوا هم مستشاري الملوك وكثيرًا ما كانوا يرأسون ارباب المناصب السياسيّة العليا . وكان رئيس كهنة ثيبة ثاني فرعون الملك نفسهِ في السلطة وكان فرعون جامعًا في ذاتهِ رئاسة الكهنوت والملك معًا معدودًا من ذرية الآلهة . وكان الكهنوت ينتقل بالارث من الأب الى بنيهِ كما كان عند العبرانيين بعد

ذلك . ولباس رئيسهم جلد نمر على كتفيه فوق الكتان الابيض وقوانينهم صارمة في الاغتسال والطعام محافظةً على النظافة والصحة . ومعاشهم من ريع الاملاك التابعة للهياكل التي هم فيها وكان لهم غُرَف في الهياكل يقيمون فيها اوقات قضائهم لواجباتهم ويذهبون الى بيوتهم وعيالهم بعد قضاء تلك الواجبات . وكان يحل للعامة التزوج باكثر من امرأة واحدة واما الكهنة فحُرّم عليهم ذلك . وكانت اشغالهم خدمة الهيكل وحمل الفلك المقدس في الاحتفالات الدينية والدرس والتدريس والظاهر انهم كانوا يعرّفون الشعب ويجلّونهم من آناهم ويفرضون عليهم افعال التوبة والندامة

وكان من ارفعهم رتبة الكهنة المرسومون وشعارهم ريشة نعام في رؤوسهم ولهم تسلّم اسرار الدين فيما يتعلّق بالرموز المقصودة من طقوسهم وشعائرهم وآلهتهم المتعدّدة المعدودة اوصافًا "للاله الواحد الحي الحقيقي الصانع الكلّ وغير المصنوع" وهذا الاله كان إمّا مجهولاً عندهم او لا يجوز لهم التلفّظ باسمه تعظيمًا لشأنه فيشيرون اليه بلفظ معناهُ "هو الكائن" ويطابق قول العبرانيين "يهوه" في اسم الجلالة ومن ألقابه المنقوشة على الآثار المصرية ما يوافق "أهيه الذي أهيه" او "انا الذي انا" الواردة في التوراة

وفي الشمال من هذا السهل الواسع تمثالا امونوف والمظنون انهما كانا موضوعين اصلاً امام باب هيكل كبير . وهما قاعدان ملتفتان شرقًا وعلو كلٍّ منهما ٦٢ قدمًا وقيل ان الشمالي منهما كان يصوت اصواتًا مسموعة كصوت العود او الرباب عند شروق الشمس من صبيحة كل يوم . وقد علّلوا ذلك بتعاليل شتى حسب اعتقاداتهم منها انهُ يصوت بقدرة اله الشمس ومنها انهُ كان يصوت بتفلّص مادّته ليلاً وتمددها عند شروق الشمس ومنها انهُ يصوت بحيلة من حيل الكهان كالحيل التي لا تزال نراها عند البعض حتى الآن

وكان الملوك يبنون هذه الهياكل قرب مدافنهم التي لا تزال اسماؤهم مكتوبة عليها ليقدموها للآلهة قرابين عن نفوسهم . وكانت عادة المصريين القدماء جميعًا ان يبنوا قبورهم في حياتهم استعدادًا لحفظ جثثهم فيها بعد موتها وتحنيطها . وحفظ الجثة كان لهُ عندهم اعظم الاعتبار لاعتقادهم ان النفس تعود اليها بعد مفارقتها فاذا لم تجدها تاهت في فيافي الفضاء شقية تعيسة الى ابد الدهر . ولذلك كانوا يسمون بيوتهم منازل الضيافة وقبورهم المنازل الخالدة وهذا الاعتقاد باقتران النفس والجسد لنوال السعادة ودوام شقائها بدونهِ خاص بالمصريين من بين الامم القديمة ولا ريب انهُ كان رادعًا لهم عن الشر حاملاً على عمل الخير والصلاح كما كانت آدابهم التي لم تقصر عن آداب الوصايا العشر في سموّها وجودتها . الاّ أنّا لا نعلم الى اية درجة بلغوا من الجودة والصلاح والعمل بموجب اعتقادهم وآدابهم المشار اليها وانما نعلم انهم كانوا كثار الخطايا

والشرور محتاجين الى الصفح والغفران والمعاملة بالرحمة الفائقة كغيرهم من البشر . والظاهر انهم هم انفسهم كانوا يشعرون باقتدارهم الى ذلك كما يتبيّن من وصفهم لالههم رماخيس بانهُ قادي البشر الذي به يتبرّرون بالايمان

وكانت مدافن المصريين كهياكلهم على غاية الضخامة والمتانة لا تخرها انياب الزمان الاّ اذا فاجأتها الزلازل والطوارق الطبيعية وشاهد ذلك الاهرام التي هي مدافن الملوك المتقدمين ومدافن ثيبة التي هي قبور الملوك المتأخرين . وهذه المدافن تبتدئ عند سفح جبال ليبية مرتفعة عن حدّ النيل عند فيضانهِ وهي آبار محفورة في الارض تؤدي الى غرف تحت الارض تحتوي جثثًا محنطة وهذه كانت مدافن عامة الناس . واعلى منها مدافن الاغنياء الذين هم ارفع من اولئك طبقةً منقورة في الصخور ويراءها الى الغرب قبور الملوك واولادهم والملكات والكهنة منقورة كلها في جوانب ثلثة اودية هناك في صخر اصم من الرمل الاحمر . وكانت جثثهم المحنطة تدفن في قلب الارض بعد ثقب جوانب الاودية مسافة مئات من الاقدام وقد بلغ بعد احدها في جانب الوادي مسافة ثمانماية قدم . وقد فتح من هذه القبور شيءٌ كثير ولكني لم ادخل غير خمسة منها وهي قبر الملك سبتي الاوّل وقبر منفتاح المظنون انهُ فرعون الذي خرج بنو اسرائيل من مصر في ايامهِ وقبور رعمسيس الثالث والرابع والتاسع وكلها مخونة على مثال واحد ولذلك اقتصر على وصف واحد منها لايضاح البقية فلكل قبر مدخل كان يسدّ سدًّا محكمًا ويخفى عن عيون الناس قدر الاستطاعة وهو يؤدي الى ممرّ مربع عالٍ واسع ومنحدر تحدرًا طفيفًا تخللهُ احيانًا قاعات على اعجلة ويكون بجوانبهِ غرف متعددة حتى تصل الى آخرهِ وبعد ما يقطع الداخل مسافة قصيرة من هذا الممر يشتد الظلام حتى لا يرى ما امامهُ الاّ بنور صناعي شديد مثل نور المغنيسيوم . وحينئذٍ يرى ان هندسي تلك الايام لم يتركوا واسطة الاّ اتخذوها لاخفاء جثة الملك المدفون عن اللصوص ولم يكن يمكن لاحد وجودها الاّ بعد مكابدة العناء الطويل في الحفر والنقب . وما يزيد الداخل تعجبًا كثرة ما يراهُ حولهُ من الكتابات والصور المخونة التي لا تزال باهية الالوان كما كانت منذ ثلاثة آلاف سنة وكلها نحتت وصوّرت على نور صناعي شديد لا محالة وقد قُدّر ان مساحة الجدار المنقوشة بالكتابات والمصورة بالصور المخونة تبلغ ١٥ الف قدم مربعة في كل مدفن واذا علمت انهُ يوجد هناك قبور كثيرة العدد تبين لك ما بذلهُ اولئك الناس من التعب والعناء على اعمالهم العجيبة هذه

ومدار كل تلك الصور على ثلثة اشياء الاول صور الملك وهو يسجد ويوفي نذورهُ وينال البركات من آلهتهِ . والثاني صور احوال الانسان والحوادث التي تمرُّ عليهِ في حياتهِ كالمعارك برًّا وبحرًا

والحراثة والزراعة والصناعة والتجارة بكل تفاصيلها وملذات الصيد والقنص وطبخ الاطعمة الكثيرة الالوان والولائم والافراح والرقص والعزف والغناء وشرب السيدات للراح وقيام جواريهنّ على مساعدتهنّ وهنّ وانفسهنّ نتساوى بين الافداح والكلام في شأن السيدات لا يؤدن معه العثار فالاولى ان نولي عنه ونختم المقال بان المصريين القدماء كانوا كأولادهم في هذه الايام لطيفي المزاج ميّالين الى البسط والسرور. اما وجود هذه الامور كلها في قبور الموتى فلعلّ القصد منه تذكير النفس عند عيادتها الجسد من حين الى حين بمشاهد وحوادث حدثت لها عند اقترانها به في الحياة. والثالث صور ما يتعلق بالنفس بعد الموت. فانهم كانوا يعتقدون بخلود النفس وثوابها وعقابها في الآخرة وخلاصها ورجوعها الى جوهر الله الذي انبثقت منه الى غير ذلك مما لا نطيل الكلام عليه هنا فنقتصر على ما ذكرنا[1]

اصل الفساد

خطب الدكتور دلنجر العالم الميكرسكوبي المشهور خطبة الرئاسة على الجمعية الميكرسكوبية الانكليزية في شهر شباط (فبراير) الماضي قرّر فيها امرين تهمّ معرفتهما كلّ من يهمه امر الاحياء الصغيرة الميكرسكوبية. احدهما ان الفساد الذي يحدث في الاجسام الحيوانية والنباتية سببه اجسام حية وحدوثه كحدوث الاختمار وبعبارة اخرى ان الفساد نوع من الاختمار واما الاجسام الحية المحدثة له فهي من البكتيريا. وهذا امر معروف ولكن الدكتور المذكور قد زاد ذلك تحقيقاً فابان ان نوعاً مخصوصاً من البكتيريا (ويسمى ترمو) يبتدئ الفساد في الاجسام ثم تلوه انواع اخرى تختلف عنه اختلافاً عظيماً من اوجه شتى ولا تزال تزيد الفساد فيها حتى تبليها ولا تبقي لها اثراً. فعوامل الفساد انواع شتى من الاحياء وليس نوعاً واحداً

والامر الآخر نفي ما اثبته غيره وهو ان بعض الانواع الميكرسكوبية يمكن ان تكون على صورة ثم تتحول الى صورة أخرى بعد عقب واحد او بضعة اعقاب كما زعم بعضهم ان نوعاً من الميكروب يمكن ان يكون عقبة من غير نوعه لاسباب مجهولة. فذلك في رأي الدكتور حاصل عن الوهم وقلة الاستقراء ومخالف لما هو معروف ومقرر من نواميس الكون

---

(١) (المقتطف) نجد تفصيل ذلك بالاستيفاء وجه ٨٦ من السنة العاشرة من المقتطف